منهج القرآن في معالجة الفساد العقدي

أ. فيان صالح علي(*)

الملخص:

هذه الدراسة حول أنواع الفساد العقدي وصوره كما يصورها القرآن الكريم، ليظهر لنا كيف قاوم النبي صلي الله عليه وسلم كل مظاهر الشرك والفساد، وانحراف السلوك، وسوء الأخلاق، وضلال النية، وتظهر لنا صور متعددة من فساد الاعتقاد في الإلهيات، والنبوات، والغيبيات، وفساد في السلوك والأخلاق، سواء أكان ذلك في المعاملات، أم في الشهوات والرغبات، ويظهر أيضا النهي الصريح عن كل أنواع الفساد وصوره، مع استبدالها بالأخلاق الحسنة، والعقيدة السليمة من كل زيغ وضلال، مع علم الله بكل ما خفي وغاب في ضمائر النفوس وخفايا الصدور.

Abstract

This study aims at discussing the types and modes of faith corruption as depicted in the glorious Quran, with a view to showing how the Prophet – pbuh – resisted all symptoms of polytheism and corruption, immoral conduct and evil intention. The study also reveals the different types of corrupted faith as regards theology, prophet-hood and metaphysics; as well as

(★) محاضره بكلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين، العراق.

corruption in behavior and morals, whether it is in transactions or in lust and desires. The research states the strict banning of corruption in all its types and modes, providing the healthy substitute, which is good morals and true faith that is free from all kinds of deviation; under the custody of Almighty Allah, who knows all souls in and out.

مقدمــة:

الحمد لله الذي حسَّن خَلْقنا وأخلاقنا، وتعبدنا بعقيدة لا يزيغ عنها إلا هالك، وهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والصلاة والسلام علي مَنْ هدم عقيدة الشرك لفسادها، ودعا إلى حسن النية وحسن الخلق، وعلى آله وصحبه والتابعين وبعد:

تئن البشرية من آثار الفساد الذي أصبح ظاهرة كونية - مع اختلاف حجمه وصوره من دولة إلى أخرى حسب اختلافها في المستوى الثقافي، والوعي السياسي، واحترام القوانين المنظمة لحياة الناس.

والدول القوية تستغل إمكاناتها الاقتصادية، والعلمية، والعسكرية في إفساد أوجه الحياة في الدول الأخرى بغية إضعاف قوتها، والسيطرة عليها، واستغلال خيراتها.

والقرآن الكريم -كلمة الله الأخيرة إلى خلقه، ودستور الإسلام الذي هو رحمة الله للعالمين - اهتم اهتماما واضحاً بهذه الآفة الاجتماعية الخطيرة، فقد حذر من الفساد، وبين أسبابه، ودواعية وآثاره، وتوعد المفسدين.

لذا كانت بعثة النبي صلي الله عليه وسلم ثورة على كل مظاهر الشرك والفساد، وانحراف السلوك، وسوء الأخلاق، وضلال النية، كل ذلك كان موجوداً بصوره وأشكاله ومظاهره المتعددة، سواء في ناحية الإيمان والاعتقاد، أو في ناحية التصور والمعايير، أو في ناحية الأخذ بالأسباب، أو في إنفاق المال، أو في الشعائر والعبادات، أو في معاملة الأيتام

ورعايتهم، وقد طال الفساد بين الناس اعتقادهم في الإلهيات، سواء أكان ذلك في مجال الربوبية أم في مجال الإلوهية، أم في مجال أسماء الله وصفاته، وقد طال الفساد أيضاً الاعتقاد في النبوات، والاعتقاد في الغيبيات، كما تطرق الفساد إلي السلوك والأخلاق، سواء أكان ذلك في المعاملات كنقض العهود، وقطع ما أمر الله بوصله، والعدوان، وأكل السحت، وعدم التناهي عن المنكرات، والعداوة والتباغض، وإشعال الحروب، أم كان ذلك الفساد في الشهوات والرغبات، وذلك كشهوة جمع المال من غير وجه حق، وكالشذوذ في الشهوة الجنسية، والغلو في شهوة المأكل والمسكن، وقهر الشعوب، وغيرها.

أهمية البحث:

هذه الدراسة لإظهار أنواع الفساد العقائدي وصوره كما يعرضها كتاب الله تعالي، وقد سبق للموضوع بحوث كثيرة بعناوين مختلفة، لكن حسبي أن أذكر التعريف الاصطلاحي للفساد لأهميته في هذه الدراسة وهو "ما خرج عن حالة الصلاح والاعتدال التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية" وبيان الجانب العقدي من الفساد المذكور في القرآن الكريم....

وتحقيقاً لهدف البحث وغايته فقد جعلت البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وذلك كما يلي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث وغايته، ثم هيكلية البحث

المبحث الأول: تعريف الفساد وفيه مطلبان

المطلب الأول: تعريف الفساد لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: الآيات التي وردت فيها مفردات الفساد

المبحث الثاني: فساد العقيدة وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فساد الاعتقاد في الإلهيات.

المطلب الثاني: فساد الاعتقاد في النبوات.

المطلب الثالث: فساد الاعتقاد في الغيبيات.

المبحث الثالث: تصدي القرآن لمعالجة الفساد ألاعتقادي.

المبحث الأول

تعريف الفساد

بين القرآن الكريم الكثير من أنواع الفساد وقد توعد الله المفسدين بعذاب اليم وبين لنا كيف أن الله تعالى حدد عقاب من افسد في الأرض ونهى الله في كتابه الكريم عن الإفساد في الأرض ، وبين العواقب الوخيمة للمفسدين، وللوقوف على حقيقة الأمر، فلابد من التعريف بها لغة واصطلاحا، مع الوقوف على صور ونماذج هذا النوع من الفساد، لبيان حظرها وللحذر منها، كما يعرضه القرآن الكريم، وذلك فيما يلي:

المطلب الأول: تعريف الفساد لغة واصطلاحاً:

{أ} تعريف الفساد لغةً: قال الراغب الأصفهاني: الفساد: خروج الشيء عن الاعتدال، قليلا كان الخروج أو كثيرا، ويضاده الصلاح، ويستعمل ذلك في النفس، والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة. يقال: فسد فساداً وفسوداً، وأفسده غيره إفساداً[١].

وفي القاموس المحيط: فسد: ضد صلح، فهو فاسد وفسيد، والفساد: أخذ المال ظلما والجدب، والمفسدة: ضد المصلحة، وفسده تفسيداً: أفسده، وتفاسدوا: قطعوا الأرحام، واستفسد :ضد استصلح[٢].

وقد ورد -في القرآن الكريم -خمسون كلمة من مادة (فسد) موزعة على الصيغ الآتية:

[1] الفعل الماضي ثلاث مرات في ثلاث آيات[٣] ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ﴾البقرة: ٢٥١،﴿ لَوْكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢، ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾المؤمنون: 31.

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني 379.

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي (فسد) 213.

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي 516.

[2] ورد مصدر الفعل (فسد) وهو الفساد إحدى عشرة مرة[1] في خمس منها جاء منكرا -بدون (ال)، وفي ست منها جاء معرفا بال.

[3] وجاء الفعل (أفسد) بزيادة همزة التعدية مرة واحدة في قوله - عز وجل - على لسان ملكة (سبأ) ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ﴾ النمل: 34.

وجاء مضارعه (يفسد) بضم حرف المضارعة - أربع عشرة مرة.

جاء مسنداً إلى ضمير المفرد الغائب مرتين[2]: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[3].

وجاء مسنداً الضمير المتكلمين مرة واحدة: على لسان إخوه يوسف عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾[4]، وجاء مسنداً إلى ضمير المخاطبين خمس مرات. وجاء مسنداً إلى ضمير جماعة الغائبين ست مرات.

[4] ولم يرد في القرآن الكريم مصدر الفعل (أفسد) وهو الإفساد.

[5] وإنما ورد اسم الفاعل من هذا الفعل إحدى وعشرين مرة[5]، جاء مفرداً مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ وَإِن ٱلْمُصْلِحِ﴾ البقرة: ٢٢٠.

وجاء مجموعا جمع مذكر سالما عشرين مرة :وبذلك يكون عدد المفردات القرآنية -من مادة فسد - خمسين كلمة.

منها اثنان وثلاثون اسما: مصدر (فسد) وهو الفساد إحدى عشرة مرة واسم الفاعل من الإفساد: مصدر أفسد إحدى وعشرين مرة ومنها (ثمانية عشر فعلا: (فسد) ثلاث مرات، و (أفسد) مرة واحدة، ومضارع (أفسد - أربع عشرة مرة.

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: 518.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: 519.

(٣) البقرة 205/30.

(٤) يوسف: 73.

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم 519.

ولم يرد - في القرآن الكريم مضارع (فسد) وهو (يفسد) - بفتح حرف المضارعة- وهذه الألفاظ الخمسون وردت في إحدى وعشرين سورة قرآنية [1].

الفساد اصطلاحاً: ما خرج عن حالة الصلاح والاعتدال التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية"[2].

المطلب الثاني: الآيات التي وردت فيها مفردات الفساد والإفساد:

ونلحظ من التأمل في الآيات الكريمة التي وردت فيها مفردات الفساد والإفساد ما يأتي:

[1] أن الإفساد يقابل الإصلاح: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾البقرة: ١١،﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ النمل: ٤٨، ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾الأعراف: ٥٦.

[2] والإفساد يشمل الشرور والمعاصي التي تتعلق بحقوق العباد كالقتل، {قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء[3] والتخريب ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ البقرة: ٢٠٥، والسرقة ﴿ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾يوسف: ٧٣، وأكل حقوق اليتامى وأموالهم ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾البقرة: ٢٢٠، وتطفيف الكيل والميزان ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾الشعراء:١٨١-١٨٣ ، (من المخسرين: الناقصين لحقوق الناس في

(١) الآيات القرآنية هي (سورة البقرة، آل عمران، المائدة، الأعراف، الأنفال، يونس، هود، يوسف، الرعد، النحل، الإسراء، الأنبياء، المؤمنون، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، الروم، غافر، محمد، الفجر).

(٢) المقدمة، ص2.

(٣) البقرة: 205.

الكيل والميزان، والقسطاس المستقيم: الميزان السوي الذي لايبخس فيه على من وزنتم له، ولا تعثوا في الأرض مفسدين: لا تفسدوا فيها أشد الإفساد بالقتل، والغارة، وقطع الطريق ونحو ذلك)[1].

[3] كثير من المفسدين تختل لديهم مقاييس الخير والشر فيزعمون أن إفسادهم إصلاح، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ البقرة: ١١، ولم يكتفوا بأن ينفوا عن أنفسهم الإفساد، بل تجاوزوه الى التبجح والتبرير) والذين يفسدون أشنع الفساد ويقولون: إنهم مصلحون كثيرون جدا في كل زمان، يقولونها لأن الموازين مختلة في أيديهم، ومتى اختل ميزان الإخلاص والتجرد في النفس اختلت سائر الموازين والقيم، والذين لا يخلصون سريرتهم لله يتعذر أن يشعروا بفساد أعمالهم، لأن ميزان الخير والشر، والصلاح والفساد يتأرجح مع الأهواء الذاتية، ولا يؤوب إلى قاعدة ربانية[2]،﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ الكهف: 103-104.

[4] وإذا كان الصلاح والإصلاح من صفات المؤمنين المتقين فإن الفساد والإفساد من صفات الكافرين، والمنافقين، والفاسقين ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص:٤، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥، ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ

(١) صفوة البيان لمعاني القرآن للشيح حسنين محمد مخلوف 2/114، 155.

(٢) في ظلال القرآت، سيد قطب 1/47.

ٱلدَّارِ ﴾ الرعد: 25، ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾محمد: ٢٢.

[5] من مؤهلات الإفساد بعد الكفر والنفاق، العلو والطغيان، والترف المصاحب للغنى ﴿ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴾ الفجر: ١٠ - ١٢ ، ﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴾الإسراء: ٤.

قال ابن عباس (أول الفساد قتل زكريا، والثاني قتل يحيى عليهما السلام - فإنهم لما استحلوا المحارم، وسفكوا الدماء سلط الله عليهم بختنصر ملك بابل فقتل منهم سبعين ألفاً حتى كاد يفنيهم وذلك أول الفسادين، فإذا جاء وعد المرة الأخيرة من إفسادكم بقتل يحيى، وانتهاك محارم الله بعثنا عليكم أعداءكم.. فقد سلط الله عليهم مجوس الفرس، فشردوهم في الأرض، وقتلوهم ودمروا ملكهم تدميرا[١]. وقال قوم قارون له لما بغى عليهم بغناه ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ۝٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ القصص: ٧٦ - ٧٧.

[6] قال صاحب الظلال: الفساد بالبغي والظلم، والفساد بالمتاع المطلق من مراقبة الله، ومراعاة الآخرة، والفساد بملء صدور الناس بالحرج والحسد والبغضاء، والفساد بإنفاق المال في غير وجهه، أو بإمساكه عن وجهه على كل حال[٢].

إن الإفساد المقترن بقوة ترعب الناس وترهبهم شرع الله - سبحانه وتعالى لمقاومته، وحماية الناس منه حد {الحرابة} ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

(١) صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني 2/152.

(٢) في ظلال القرآن 375/ج6.

وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾المائدة: 33.

[7] كثيراً ما يكون الإفساد تهمة يرقى بها المصلحون، ولهذا يجب الاحتكام إلى أحكام الشرع في التفريق بين المصلح والمفسد. ألم يقل فرعون - وهو رأس من رؤوس الفساد والإفساد - ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾ غافر: ٢٦، وقال له الملأ من قومه محرضين على التخلص من موسى وأتباعه المؤمنين - ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾الأعراف: ١٢٧.

[8] انتشار الفساد في المجتمعات ثمرة مرة لفساد قلوب الناس وعقائدهم، وسوء أعمالهم وهو في الوقت نفسه - بعض عقاب الله لهم على هذه الأعمال السيئة ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ الروم: ٤١.

قال الإمام ألنسفي[1]: (الفساد نحو القحط، وقلة الأمطار، والريع في الزراعات، والربح في التجارات، ووقوع الموتان في الناس والدواب، وكثرة الحرق والغرق ومحو البركات من كل شيء بسبب معاصيهم وشركهم كقوله - ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾الشورى: 30، ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا.

[9] ينشأ الفساد عن مخالفة سنن الله، والخروج على القوانين الضابطة لاستقرار الكون، فتفسد الإدارات والهيئات إذا تعدد المسئولون عن إدارتها. وقد جعل الله - سبحانه وتعالى - عدم فساد نظام السموات والأرض دليلا على وحدانيته. فقال: ﴿ لَوۡ كَانَ

(١) تفسير النسفي 2/274.

فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢، أي: لو كان في الوجود آلهة غير الله لفسد نظام الكون كله لما يحدث بين الآلهة من الاختلاف والتنازع في الخلق والتدبير وقصد المغالبة)[١].

[10] لكي لا تفسد الأرض شرع الله قانون المدافعة بين البشر لبعث الهمم، وتجديد النشاط مقاومة الظلم ورد العدوان ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾البقرة: ٢٥١، أي لقد كادت الحياة تأسن وتتعفن لولا أن طبيعة الناس التي فطرهم الله عليها أن تتعارض مصالحهم، واتجاهاتهم الظاهرة القريبة، لتنطلق الطاقات كلها تتزاحم، وتتدافع. فتنفض عنها الكسل والخمول، وتستجيش ما فيها من مكنونات مذخورة، وتظل أبداً نقطة عاملة مستنبطة لذخائر الأرض مستخدمة قواها وأسرارها الدفينة[٢].

ونلحظ في التعبير القرآني أن هذا الدفع شأن الله وإرادته، وأن البشر هم أداة ذلك الدفع والتدافع لتحقيق مراد الله في عدم فساد الأرض. وتوعد الله المفسدين بالخسران المبين، وسوء العاقبة ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾يونس: ٤٠، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾يونس: ٨١.

المبحث الثاني

الفساد العقدي

إن الاعتقاد ركن هام وقاعدة رئيسة للإيمان بكل ميادينه، فإن تطرق الفساد للاعتقاد فهذا نذير خطر علي إيمان الإنسان، يؤدي إلي زواله في الغالب، أو اضطرابه علي أحسن الأحوال، ولذلك سنعرض في هذا المبحث صوراً ونماذج لهذا النوع من

(١) صفوة التفاسير 2/258.

(٢) في ظلال القرآن الكريم 1/396.

الفساد كما يعرضه القرآن الكريم، سواء تعلق ذلك بالإلهيات أو النبوات أو الغيبيات، وهذا من باب بيان خطرها والحذر منها، وذلك فيما يلي:

المطلب الأول: فساد الاعتقاد في الإلهيات:

ونقصد بفساد الاعتقاد في الإلهيات: الاعتقاد بخلاف ما جاء في كتاب الله تعالى والسنة النبوية الصحيحة، فيما يتعلق بذات الله عز وجل.

تناول القرآن الكريم الحديث عن الكفار والمنافقين في مناسبات عديدة، واصفاً فساد اعتقادهم في ذات الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات الكريمة، وفند مزاعمهم ورد أباطيلهم، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

أولاً: فساد الاعتقاد في مجال الربوبية

الرَّبُّ يُطْلَق في اللغة على المالكِ والسَّيِّدِ والمُدَبِّر والمُرَبِّي والقَيِّم والمنعم، ورَبُّ كلِّ شيءٍ مالكُه، وكُلُّ مَنْ مَلَك شيئاً فهو رَبُّه، ولا يُطلَق دون إضافةٍ إلاّ على الله عزّ وجلّ، وإذا أُطْلِق على غيره أُضِيفَ، والرُّبوبيَّة ما نسب إلى الرَّبِّ، ووزنها على غير قياس(١).

ورغم الجاهلية التي كان يعيشها العرب قبل الإسلام إلا أنهم كانوا يقرون لله بالربوبية، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ الزخرف:٨٧، وأثبتَ القرآن الكريم أن النمرود بن كنعان وفرعون قد ادعى كلٌ منها الربوبية لنفسه، فأما النمرود فقد ادعى لنفسه القدرة على الإماتة والإحياء، فقال الله على لسانه: ﴿ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ البقرة: ٢٥٨، والموت والحياة من مقتضيات الربوبية التي يختص بها الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ الملك: ١ - ٢، وأما فرعون فقد ادعى الربوبية، وتصرف في شأن الخلق دون مراعاة لحقوقهم منطلقاً من دعواه الباطلة بالربوبية، قال الله

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج1، ص399.

تعالى بشأنه: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ النازعات: ٢٣ - ٢٤، وقد وصفه تعالى فقال: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص: ٤، ففي الآية الكريمة وصف لألوان فساد فرعون الذي مارسه على رقاب المستضعفين ظناً منه أنه ربٌ لا يُسأل عما يفعل، وفي ذلك اعتداء على سلطان الله في الأرض، فهل هناك أفسد عقيدة ممن منح نفسه هذه المكانة؟!

ثانياً: فساد الاعتقاد في مجال الإلوهية:

الإله هو المعبود بحق أو بغير حق، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴾مريم: ٨١، فكل معبود فهو إله، والإلوهية بمعنى العبادة، والمعبود بحق هو الله وحده، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾النساء: ١٧، وقد قرأ الحسن قوله تعالى: ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ ﴾الأعراف: ١٢٧، بكسر الهمزة أي وترك عبادتك(١).

ونقصد بفساد الاعتقاد في مجال الألوهية: أن يعتقد المرء وجود مَن يستحق العبادة مع الله.

وقد كان معظم فساد الأمم السابقة وشركها في هذا الجانب، إذ اتخذت كل أمة إلهاً لها عبدته دون الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴾ مريم: 81، والله عز وجل نهى عن ذلك وأمر بإفراد ذاته بالعبودية فقال: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾النحل: ٥١ وقد بين سبحانه فساد هذا المعتقد، وما يترتب عليه من هلاك السموات والأرض نتيجة فساد مَنْ فيهن، قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾الأنبياء: ٢١ - ٢٢.

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج13، ص467، المسير في القراءات الأربعة عشر. محمد فهد خاروف، ص165.

وقد ذم الله هذا المعتقد وأهله في كتابه الكريم، قال تعالى آمراً نبيه ﷺ أن يقول لقومه: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٩، فالوحي كما تبين الآية جاء بالبراءة والتحذير من اتخاذ الآلهة مع الله، لما يترتب على ذلك من فسادٍ في العقيدة، يتبعه فسادٌ في سائر نواحي الحياة، ولعل ذلك يتضح بالشواهد القرآنية التالية:

[1] فساد عقيدة من دعا أو استعان بغير الله، قال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ يونس: ٩٠ - ٩١، فالآية الأخيرة جاءت تعقيباً على الآيات التي قبلها، حيث يتناول السياق القرآني صنفاً من المشركين جعلوا لله أنداداً، فضاعف الله لهم العذاب، لصدهم عن سبيله، ولفساد عقيدتهم، فقد أشركوا بالله لما استغاثوا بغيره فقالوا: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ ﴾ النحل: ٨٦ .

[2] فساد عقيدة فرعون، قال تعالى في حقه: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ يونس: ٩٠ - ٩١، لقد جاء إقرار فرعون بوحدانية الله تعالى في الوقت الذي لا تنفع فيه التوبة، وكان قد ادعى لنفسه الألوهية، لأجل ذلك وصمه الله بالمفسد، وهذا دليل على أن اعتقاد تعدد الآلهة نوع من الفساد، فتعدد الآلهة أمر اعتقادي، والسلوك والأخلاق تبع للاعتقاد، وقد تلبس فرعون بفساد اعتقاده في الألوهية، وتبع ذلك سائر أنواع الفساد.

[3] فساد عقيدة مدين، قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ

عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴾هود: ٨٤، فنهاهم عن الشرك بالله أولاً، ثم أمرهم بإصلاح معاملاتهم مع الخلق، ووصف ما كانوا عليه من شرك وتطفيف بالفساد، فالشرك بالله واعتقاد تعدد الآلهة فساد، له الصدارة في الوعظ لدى الأنبياء.

ثالثاً: فساد الاعتقاد في أسماء الله وصفاته:

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾الأعراف: ١٨٠، فالله سبحانه وتعالى سمى نفسه بأسماء فقال: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾الشورى: ١١، وسمى صفاته بأسماء فقال: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾الشورى: ١١، هذه الأسماء إذا أطلقت، والصفات إذا أضيفت إليه، كانت مختصة به لا يشركه فيها أحد(١)، وأهل السنة والجماعة يثبتون لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له نبيه ﷺ من الأسماء والصفات، دون تشبيه ولا تعطيل، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه نبيه ﷺ من الأسماء والصفات، وأما مَن حاد عن هذه القاعدة فقد ألحد في أسماء الله وصفاته وفسدت عقيدته في هذا الجانب(٢).

وقد بين القرآن فساد من حادَ عن الصواب في أسماء الله وصفاته حيث قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ المائدة: ٦٤، إن فساد عقيدة يهود في ذات الله سبحانه وتعالى واضح من خلال الآية الكريمة، وقد قص القرآن الكريم كثيراً من الأخبار التي تبين فساد عقيدتهم في هذا الجانب، فهم الذين قالوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ ﴾ آل عمران: ١٨١، عندما سئلوا النفقة! وهم

(١) الرسالة التدمرية، ابن تيمية، ص14.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي المعز الحنفي، ص29.

يقولون في هذا الموقف: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، يريدون أن يبرروا ما هم عليه من البخل، فالله في اعتقادهم الفاسد لا يعطي الخلق إلا القليل، فرد عليهم هذا التصور الفاسد السقيم، ووصف ذاته سبحانه بالوصف الكريم الذي يليق بجلاله، وهو يفيض على عباده من فضله بلا حساب فقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾، وعطاياه سبحانه وتعالى ظاهرة للعيان يلمسها كل الخلق، لا تنقطع ولا تنفد، وهي شاهدة ليده المبسوطة بالتفضل والنعمة على خلقه(١)، ففسادهم كما تصوره الآية بدأ بفساد عقيدتهم وتصورهم لصفات الله تعالى وتبع ذلك أنواع كثيرة من الفساد كالحقد والحسد للأمم من بعدهم والتباغض وإشعال الحروب بين الناس ونشر الفساد في الأرض، لذلك عقب الله على ادعائهم الباطل وأفعالهم المنحرفة القبيحة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ المائدة: ٦٤.

وتدخل كل الآيات الكريمة التي تحمل هذا المعنى الباطل من افتراء على الله، ووصفه بما لا يليق، كشاهد على فساد الاعتقاد في أسماء الله والصفات لدى من اعتقدها أو قال بها، ومثال ذلك في القرآن كثير نورد منها ما يلي:

[1] فساد عقيدة من نسب لله الولد، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ التوبة: ٣٠، فهل هناك أفسد تصوراً وعقيدة ممن جعل الخالق كالمخلوق، فنسب لله ما نفاه سبحانه عن نفسه، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ الإخلاص: ١ - ٤.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج2، ص929.

[2] فساد عقيدة من جعل لله البنات، قال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾النحل: ٥٧، وقد كان هذا قول المشركين من العرب، حيث أن الآيات التالية[١]، تبين أن من ادعى ذلك كان يئد البنات وهذه من صفات الجاهلية العربية.

وفساد عقيدتهم في الآية يأتي من طريقين:

الأولى: من حيث أنهم نسبوا لله تعالى الولد، والله تعالى يقول: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾المؤمنون: ٩١.

الثانية: أنهم ينسبون لله تعالى ما يستقبحونه لأنفسهم، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾النحل: ٦٢، فما أقبحه من قول وما أفسدها من عقيدة أن يدعي العبد لربه ما يستقبحه لنفسه.

[3] ومن الفساد في الصفات أيضاً رفع الصوت في الدعاء، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾الأعراف: ٥٥ - ٥٦، قال ﷺ: [سيكون قوم يعتدون في الدعاء][٢]، وقال ابن جريج: "إن من الدعاء اعتداء يُكره، رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء، ويؤمر بالتضرع والاستكانة"[٣]، والاعتداء في الدعاء على وجوه: منها الصياح، وأن يدعو طالبا

(١) ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾، النحل: 58، 59.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب الاعتداء في الدعاء، ج2 ص1271، حديث رقم (3864)، قال عنه الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ناصر الدين الألباني، ج1ص684، حديث رقم (3671).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، م5، ج8، ص147.

معصية وغير ذلك[1]، ومن الملاحظ أن الآيات تحث على الدعاء والكف عن الاعتداء، ثم تدعو لترك الفساد في الأرض وفي ختام الآية تُذكِّرُ بأدب الدعاء وقرب رحمة الله من المحسنين، ولعل في ذلك إشارة إلى أن الاعتداء في الدعاء وعدم مراعاة آدابه صورة من صور فساد التعامل مع الله خاصة إذا اعتقد الداعي أن الله لا يسمعه ولا يستجيب له إلا بهذه الوسيلة.

المطلب الثاني: فساد الاعتقاد في النبوات:

النبوة من نبأ يُنبئ فهو نَبيءُ، ونبي ونبيءُ لغتان يقصد بهما المُخْبِر عن الله عز وجل والمصدر نبوة، وقيل الهمز في النَّبيء لغة رديئة لقلة استعمالها، وقيل للنبي ﷺ: يا نَبيءَ الله، فقال للقائل: لا تَنْبر[2]، باسْمي فإنما أنا نَبيُّ الله، وفي رواية فقال: لستُ بنَبيءِ اللهِ ولكنِّي نبيُّ الله وذلك أنه عليه السلام أنكر الهمز في اسمه فرَدَّه على قائله، وقيل: النبوة ومنها االنَّبيُّ مشتق من النَّبَاوةِ وهي الشيءُ المُرْتَفِع[3].

و"النبي مَنْ أوحي إليه بملَكٍ أو ألْهمَ في قلبه أو نُبِّهَ بالرؤيا"[4]، والأنبياء بشر مثلنا أوحى الله تعالى إليهم، قال تعالى آمراً نبيه ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ الكهف: ١١٠، وهم صفوة خلق الله، قال تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ لقمان: ٢٨، أرسلهم الله لهداية الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج7، ص199.

(٢) النبر بالكلام الهمز به، لا تنبر أي لا تهمز. انظر التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص294.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج6، ص115.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1، ص442.

إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾المائدة: ١٥ - ١٦، ويقصد بالنور هنا: النبي محمد ﷺ [١]، وهو متمم سلسلة النبوة المباركة، وقد جعل الله الإيمان بهم من أركان الإيمان الكامل الصحيح، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾الفتح: 8 - 9، والبر هنا شمل عرى الإسلام والإيمان[٢]، وأوصى بطاعتهم وتوقيرهم، قال تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ الفتح: 9، وحذر من الكفر بهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ النساء: ١٣٦، أو إيذائهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ الأحزاب: ٥٧، أو الصد عن سبيلهم وجعل ذلك من النفاق، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾النساء: ٦١.

ونرى أن الإساءة إلى نبي من الأنبياء أو النيل من احدهم هو فساد في الاعتقاد في الأنبياء، قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾المؤمنون: ٢٤، فأنبياء الله تعالى يصدق بعضهم بعضاً وكل نبي يبشر بمن بعده ويمهد له، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ آل عمران: ٨١.

(١) فتح القدير، الشوكاني، ج2، ص231.

(٢) النساء: 136.

وقد بين القرآن صوراً متعددة لفساد عقائد الأمم في رسل الله وتكذيبهم، نذكر منها ما يلي:

[1] فساد قوم نوح في النبوات، قال تعالى على لسانهم: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ المؤمنون: 24، فهم يصفون نوحاً عليه السلام بأنه طالب للزعامة والرفعة، ثم يتمادون في الأمر فيعلنون رفضهم لمبدأ النبوة بدعوى أنها ليست موروثاً من الآباء والأجداد.

[2] فساد اعتقاد فرعون وملئه بنبوة موسى عليه السلام، ويمكن بيان ذلك من موقفين:

{أ} قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ الأعراف: ١٠٣، "ظلموا بها أي: كذبوا بها"[1]، فلما كفر فرعون وقومه بما جاء به موسى عليه السلام من الآيات البينات، وصفهم الله بالمفسدين، فتكذيبُ فرعونَ وقومِهِ بآيات موسى عليه السلام هو تكذيب لموسى عليه السلام، لأن ذلك فساد في العقيدة والتصور نحو نبي من أنبياء الله.

{ب} قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ غافر: ٢٦، ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الأعراف: ١٢٧، والأنبياء هم صفوة الله في خلقه، فمن اعتقد فيهم خلاف ذلك فقد فسد اعتقاده في أنبياء الله تعالى.

[3] فساد بني إسرائيل مع رسل الله تعالى، قال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ البقرة: ٨٧، فماذا بقي للقوم من اعتقاد في أنبياء الله عز وجل بعد قتلهم أو تكذيبهم.

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي، ج1، ص351.

[4] فساد اعتقاد قريش بنبوة محمد ﷺ، فالقوم تارة يستغربون أن يكون بشراً نبياً، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾الفرقان: ٧ - ٩، وهذا الإنكار ناتج عن جهلهم وفساد اعتقادهم في النبوة.

وتارة ينكرون آيات الله تعالى ويكذبونها، قال تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾الأنعام: 33، تبين الآية الكريمة أن قريشاً كانت تكذب النبي ﷺ في العلن، وهي مع ذلك تقر بصدقه وأمانته في السر، وما ذلك إلا جحوداً منها بالقرآن، الذي هو دليل النبوة وعنوانها، وقد جاء في سياق القرآن العديد من الآيات التي تبين فساد عقيدة القوم في فهمهم للنبوة.

وفساد الاعتقاد في الأنبياء والإساءة إليهم منهج قديم وليس بالأمر الجديد، فقد كان الناس ولا يزالون حتى أيامنا هذه يسيئون أدبهم مع أنبياء الله تعالى، وما هذه الرسومات الكرتونية التي عرضتها مجلة دينماركية(١)، إلا نموذج عن فساد الاعتقاد في أنبياء الله على مدى الزمان...

المطلب الثالث: فساد الاعتقاد في الغيبيات:

الغَيْبُ هو كلُّ ما غاب، وهو عكس المشاهد، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ ﴾الأنعام: ٧٣، وقوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾الجن: ٢٦.

(١) عرضت مجلة يولاندزبوستن الدنامركية بموافقة من المحرر الثقافي للجريدة فيلمنج روس، بعرض صور كرتونية ترمز للنبي ﷺ بصورة مجرم حرب وقد وضع على رأسه عمامة.انظر: جريدة الحياة الجديدة ــ فلسطين ــ العدد3691ــ 2006/1/31ــ ص9، و الدينامارك دولة تقع شمال غرب القارة الأوروبية. انظر: أطلس العالم: أطلس جغرافي مصورــ مكتبة الصغّارــ ص303.

َي يؤمنون بما غابَ عنهم مما أخبرت به الأنبياء عليهم السلام من أمر البَعْثِ والجنةِ والنار، وهو أيضاً ما غابَ عن العُيون وإن كان مُحَصَّلاً في القلوب(١)، وقيل: ما لا يقع تحت الحواس، ولا تعلم حقيقته العقول، وإنما يعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام، وبإنكاره يقع على الإنسان اسم الإلحاد(٢)، والغيب لا يعلمه إلا الله وحده سبحانه وتعالى، ويُظْهِرُ على بعضه من يشاء من رسله، وذلك وفق مراده عز وجل، نذيراً أو بشرى للعباد وتصديقاً لنبوة من يشاء من رسله، قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ الجن: ٢٧.

ونقصد بالغيبيات: كل ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام من أمور غيبية ماضية أو مستقبلية، دنيوية كانت أو أخروية.

وفساد الاعتقاد في الغيبيات هو تكذيبها أو تخيلها على غير ما أخبر الله تعالى عنها في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وقد وصف الله تعالى المكذبين بالغيب بالمفسدين، ويمكن بيان الآيات التي تتناول الحديث عن فساد الاعتقاد في الغيبيات على النحو التالي:

[1] قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يونس: ٣٨ - ٣٩، ففي الآيات الكريمة يبين الحق تبارك وتعالى أن مِنَ العربِ مَنْ يكذب بالقرآن ويدعي أنه من قول النبي ﷺ، ويقرر سياق الآيات أن تكذيبهم هذا يرجع سببه لعدم إحاطتهم بحقيقة ما في القرآن من علوم غيبية، لعدم وقوع أحداثها أمام أعينهم، ثم يعود السياق ليقرر مرة أخرى أن مِنَ العرب مَنْ يؤمن بأنه من عند الله، ولكنه مع ذلك يصر على التكذيب به

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج1، ص654.

(٢) انظر: فتح القدير ــ الشوكاني ــ ج2ص446.

عناداً واستكباراً[1]، ثم تقرر الآيات أن هؤلاء المكذبين ظاهراً والذين لا يؤمنون به هم مفسدون، وذلك لفساد اعتقادهم في الغيب الذي لم يحيطوا بعلمه، ومن هنا كانت فاصلة الآية تناسب المقام، فقال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾يونس: ٤٠.

ويرى المفسرون ان التكذيب قد وقع منهم استكباراً ثم لفساد اعتقادهم واستخفافهم لحقيقة ما أعده الله للمكذبين من الوعيد، ولفساد تصورهم لما سيؤول إليه الحال من الأهوال العظمية التي أخبرهم بها القرآن الكريم، فهذا أبو جهل يقول لقريش لما نزل قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾المدثر: ٣٠، ثكلتكم أمهاتكم! هذا محمد يخبركم أن خزنة جهنم تسعة عشر! وأنتم الدهم[2]، والشجعان، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم؟[3].

أليس هذا هو عين الفساد في اعتقاد الكفار لِمَا جاءهم من وصفٍ لعذاب الآخرة ؟ واستخفافهم بكل ما هو غيبي لمجرد أنهم لم يحيطوا بعلم ما أخبروا به؟.

[2] قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾[4] العنكبوت: ٢٨ - ٣٠، في الآيات الكريمة يعظ لوط قومه ويأمرهم بترك المنكرات والعدول عن فعل الفاحشة، ولما أنذرهم بطش الله وعذابه كما أفادت الآيات، قال القوم مستهزئين مستخفين: ﴿ ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج1، ص654.

(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ج2، ص446.

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني، ص616.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج19، ص72.

مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾العنكبوت: ٢٩، فلما أصروا على إنكارهم، واستخفوا بالوعيد، واستبعدوا وقوع عذاب الله عليهم، التَجَأ لوطٌ إلى ربه طالباً النصرة على القوم المفسدين.

ويمكن القول أن القوم فسدوا في أخلاقهم حين أصروا على الفاحشة، وفسد اعتقادهم لما استخفوا بعذاب الله الذي توعدهم به نبي الله لوط عليه السلام، فهم قد جمعوا بين فساد اعتقادهم بالغيب الذي أخبرهم به نبيهم، وبين فساد الأخلاق والسلوك، فحق عليهم الوصف الذي وصفهم به ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ العنكبوت:٣٠.

[3] قال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾القصص: ٧٧ - ٧٨، ففي الآية الكريمة يعظ أهل العلم من بني إسرائيل قارونَ بالإحسان وعمل الصالحات، طلباً لجزاء اليوم الآخر، واتقاءً لعذابه، ولكن قارون الذي فسد اعتقاده بالغيب، واستخف بعذاب الآخرة، استعلى بكبرياء وأنكر نعمة الله عليه، وادعى لنفسه العلم والخبرة، وما حمله على ذلك إلا فساد اعتقاده بعذاب الله، فلوا أحسن الظن والإيمان لأحسن العمل.ومن خلال هذه النماذج ندرك أن كثيراً من الأمم التي وصفها الله بالفساد، يرجع سبب كفرهم وبعدهم عن دين الله إلى أسباب كثيرة، منها فساد اعتقادهم بالغيبيات.

المبحث الثالث

تصدي القرآن الكريم لمعالجة الفساد ألاعتقادي

ذكر القرآن الكريم مفهوم الفساد وبين فساد اعتقاد البعض منهم من خلال الآيات القرآنية وربط بمعالجة الفساد وأسبابه والقضاء عليه والحيلولة دونه ،وسلك الشرع الحنيف في التصدي للفساد مسلكين.

- توجيهي وإرشادي وآخر عقابي تمثل في عقوبات من السلطة ضد المفسدين وقد تمثل مسلك التوجيه والإرشاد والتصدي في الأتي:

[1] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فريضة ماضية الى يوم القيامة اوجبها الله تعالى على الناس وجوبا كفائيا ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾آل عمران: ١٠٤.

ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فأن لم يستطع فبلسانه فاء ن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان).

والتغير باليد انما يكون لصاحب السلطة، وإلا كان فتنة وفساداً كبيراً، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انجح السبل للحد من الفساد وقد نهى الله عن الركون لأهل الظلم و الفساد والدعوة إلى الإصلاح بالحكم قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ النحل: ١٢٥.

والمصلح ينبغى عليه أن يسلك سبيل الحكم والرفق فيندرج فى الإصلاح ويأخذ مجتمعه بقدر من المداراة عبر التواضع والإقدام والتحمل والحكم وسائر مكارم الأخلاق، يقول الله تعالى لرسوله الكريم ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾آل عمران: ١٥٩.

وقد أوصى الله موسى وهارون لما أمرهما بالذهاب إلى فرعون وهو إمام الكفر في زمانه.

ومن سماحة الشريعة الإسلامية إنها كفلت للناس حفظا للكليات الخمسة التي لا يأمن الإنسان في حياته ولا يسعد في عيشه إلا بالطمأنينة على سلامتها وهذه الكليات هي: (النفس، والعقل، والعرض، والدين، والمال)، وجعلت كل تهديد وتعد على هذه القيم

ضربا من ضروب الفساد والإفساد وشرعت لذلك معالجات عقابية رادعة تردع الجاني وتزجر غيره من التعدي عليها معروفة بالعقوبات الحدية.

- فالمعتدي على النفس البشرية شرع الله لها القصاص قال: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾البقرة: .

- وللتصدي على المال بالسرقة شرع الله قطع اليد اليمنى عن مفصل الكف قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ النحل: ١٢٥.

- والتعدي على الأعراض بالزنا جعل عقوبته جلد البكر ورجم المحصن، قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾النور: ٢.

- والتعدي على الدين يمثل في الردة بعد الإيمان في هذا يقول الرسول الكريم (من بدل دينه فاقتلوه).

والتعدي بالفساد على العقل وذلك بشرب المسكر فقد جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين، وجلد ابو بكر رضي الله عنه أربعين، وزاد عمر الى ثمانين جلدة.

وهذا يعتبر الجانب العقابي في التصدي للفساد المنوط بولي الأمر صاحب السلطة لا يباشر غيره فتكون فتنة في الأرض وفساداً كبيراً.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وقد أتم علينا نعمته بتمام هذه الدراسة التي كانت أهم نتائجها بيان أن

الاعتقاد ركن هام وقاعدة رئيسة للإيمان، فإن تطرق إليه الفساد فهذا نذير خطر على إيمان الإنسان يؤدي إلي زواله أو اضطرابه.

و ثبت من خلال الدراسة أن هناك فساداً يتعلق بالإلهيات سواء كان ذلك في مجال الربوبية أو الإلوهية، أو في أسماء الله وصفاته كعقيدة من نسب لله الولد، وجعل له البنات، وغير ذلك.

وقد ظهر أن هناك فساداً في اعتقاد النبوات كما وقع من قوم نوح، وفرعون، وبني إسرائيل، وما كان من فساد اعتقاد قريش بنبوة محمد صلي الله عليه وسلم.

و أن هناك فساداً في الاعتقاد بالغيبيات سواء كان ذلك بتكنيبها أو بتخيلها علي غير ما جاء الخبر عنها من كتاب أو سنة، سواء أوقع ذلك استكباراً، أو استخفافاً لحقيقة ما أعده الله للمكذبين من الوعيد.

وهذه الدراسة ضرورية لكي يدرك العالم أجمع والمسلمون خاصة كل أنواع الفساد وصوره وأشكاله حتى يجتنبوه، ولا يقعوا فيه. ومن وقع في شيء من هذا الفساد وجب عليه أن يبادر بالتوبة إلي الله قبل فوات الأوان وإلا لا ينفعه الندم بعد فوات الفرصة.

وأن يهتم الدعاة والمصلحون في هذا الزمان ببيان الفساد وأنواعه مع التحذير من الوقوع في أي شكل من أشكاله ومظاهره.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم *

[1] التعريفات – أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني – دار الكتب العلمية – بيروت – 2000م.

[2] تفسير القرآن العظيم – إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي – تحقيق محمد السيد – دار الحديث – القاهرة – 2002م.

[3] تفسير النسفي/أبو البركات عبدا لله بن احمد بن محمود النسفي،تحقيق الشيخ مروان محمد الشعار - دار النشر – دار النفائس –بيروت –لبنان - عدد الأجزاء (4)

[4] جامع البيان في تأويل آي القرآن – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – دار المعرفة – بيروت – الطبعة الثالثة – 1978م.

[5] الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي – دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة – 1967م.

[6] جريدة الحياة الجديدة – فلسطين – العدد 3691 – 2006/1/31م.

[7] الرسالة التدمرية مجمل عقيدة أهل السلف – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – المدينة المنورة – 1408هـ.

[8] سنن الترمذي – محمد بن عيسي بن سورة الترمذي – حكَم أحاديثه وآثاره وعلّق عليه محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض – 1417هـ.

[9] سنن النسائي معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: 388هـ) الناشر: المطبعة العلمية - حلب الطبعة: الأولى 1351 هـ - 1932

[10] سبل السلام من أدلة الأحكام –الصنعاني /محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني أبو إبراهيم عزالدين (ت 1182ه) –قدم له محمد عبد القادر احمد عطا - مجلد الرابع –دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

[11] شرح العقيدة الطحاوية – ابن أبي العز الحنفي – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة السادسة – 1400هـ.

[12] صفوة البيان لمعان القرآن/حسنين محمد مخلوف - ط - دار الفكر العربي - بيروت - لبنان(د - ت)

[13] صفوة التفاسير:محمد علي الصابوني - دار إحياء التراث العربي - بيروت –لبنان –ط2 (1421هـ - 2000م) مجلد الأول

[14] فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) محمد علي الشوكاني –دار الفكر –بيروت –1983م.

[15] في ظلال القرآن – سيد قطب – دار الشروق – القاهرة – الطبعة العاشرة – 1981م.

[16] القاموس المحيط – الفيروز أبادي – المكتبة العربية للطباعة والنشر – بيروت – دون تاريخ.

[17] لسان العرب –محمد بن مكرم بن منظور –دار صادر –بيروت –دون تاريخ.

[18] مفردات ألفاظ القرآن – أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني– تحقيق صفوان عدنان داودي – دار القلم – دمشق – الدار الشامية بيروت - الطبعة الأولى – 1996م.

[19] مفردات في غريب القرآن:أبو القاسم الحسين محمد المعروف بالأصفهاني (ت502هـ) تحقيق مركز الدراسات والبحوث - الناشر مكتبة نزار مصطفى ألباز/2مجلد - بيروت –لبنان.

[20] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/محمد فؤاد عبد الباقي ،مطبعة دار الكتب المصرية - بلا ط ،1364هـ.

[21] المسير في القراءات الأربعة عشر - محمد فهد خلوف – دمشق –دار ابن كثير – 1995.

[22] الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – علي بن أحمد الواحدي – دار القلم – دمشق – 1995م.